مجلة دجلة • المجلد ٨، العدد١ ملحق، (٢٠٢٥)، ص: ٣٣٤ - ٣٤٦
ISSN: 2222-6583

الفلسفة وعلاقتها في تربية ونشأة الأطفال

م.م مريم عباس عزيز
رئاسة الجامعة، جامعة الكرخ للعلوم، بغداد، العراق
maryam.abbas@kus.edu.iq

المستخلص

تعد الأسرة هي البيئة الطبيعية والأساسية والمحطة الأولية في حياة الفرد الاجتماعية، فهي تحتل المرتبة الأولى في توفير الرعاية المتكاملة له، وفي تزويده بآليات ومهارات التكيف الاجتماعي في ممارسة وظيفتها الرئيسة ألا وهي التنشئة الاجتماعية؛ وذلك بتهيئته للحياة بما يكفل له التكيف مع بيئته الاجتماعية. ويأتي هذا البحث ليبين دور التنشئة الأسرية في تكوين الشخصية الاجتماعية للطفل؛ بإبراز أهمية توفير الأسرة للبيئة الملائمة لنموه وتكوينه، وإدراكها لثقل مهمتها في تربيته، وإعداده إعدادا سليما ومتوازنا، فضلاً عن تزويده بقيم ومعايير الفعل الاجتماعي التي تتلاءم وخصوصية المجتمع الثقافية والعقدية...إلخ، وتتمحور الإشكالية الحالية حول أهمّ الميكانيزمات التي تعتمدها الأسرة في تكوين الشخصية الاجتماعية للطفل والدّور الذّي يلعبه الجوّ الأسري السليم في بناء الشّخصية السّوية للطفل. توصلت الدراسة إلى أن دمج الفلسفة في التربية يُسهم في تكوين طفل قادراً على التساؤل، التحليل، واتخاذ قرارات أخلاقية مستنيرة، مما يُعزز بناء مجتمعات أكثر وعيًا وتقدمًا. كما أظهرت النتائج أن التحديات تكمن في ضرورة تكييف المفاهيم الفلسفية مع المراحل العمرية المختلفة، وتدريب المربين على أدوات الفلسفة التطبيقية.

الكلمات المفتاحية: الفلسفة التربوية، تنمية التفكير النقدي، فلسفة الأطفال، التربية الأخلاقية، النشأة المعرفية.

Philosophy and its relationship to Raising children

Asst. Lect. Mariam Abbas Aziz
Al-Karkh University of Science

Abstract

The family is considered the natural and basic environment and the primary station in the individual's social life, as it occupies the first place in providing him with integrated care, and in providing him with mechanisms and skills of social adaptation by exercising its main function, which is socialization, by preparing him for life to ensure that he adapts to his social environment. This research comes to show the role of family upbringing in the formation of the child's social personality by highlighting the importance of the family providing the appropriate environment for its growth and

formation, and its awareness of the weight of its task in raising it. And prepare it properly and balanced, in addition to providing it with the values and standards of social action that suit the cultural and doctrinal specificity of society... etc., and the current problem revolves around the most important mechanisms adopted by the family in the formation of the child's social personality and the role played by the healthy family atmosphere in building the child's normal personality. The study found that the integration of philosophy in education contributes to the formation of a child capable of questioning, analyzing, and making informed moral decisions, which promotes building more aware and progressive societies. The results also showed that the challenges lie in the need to adapt philosophical concepts to different age groups, and to train educators on the tools of applied philosophy.

Keywords: educational philosophy, development of critical thinking, philosophy of children, moral education, cognitive development.

المقدمة

تمثل الأسرة المؤسسة الاجتماعية الأولى التي ينشأ الفرد فيها ويترعرع ويكتسب منها المعارف والقيم وينطلق من خلالها إلى العالم الخارجي، وبالتفاعل الديناميكي بين الأسرة والمجتمع والعالم تتشكل رؤى الأفراد ومعتقداتهم مما يتطلب منا دائماً التعويل على التربية. إن التربية مفهوم اجتماعي وفلسفي تكلم فيه المصلحون الاجتماعيون، المربون والفلاسفة. ترتبط الفلسفة مع التربية ارتباطاً وثيقًا، فالفلسفة تمثل البنية الفكرية التي توجه التفكير وتوجه الممارسات في التربية. إذ تعمل الفلسفة بشكل مباشر أو غير مباشر في تحديد الأهداف والقيم والمعتقدات التي يجب أن تكون أساسًا للعملية التربوية أو التعليمية

يعتبر موضوع الفلسفة والتربية موضوعًا معقدًا ومترامي الأطراف، ولكننا في هذا البحث سوف نركز على تطور مفهوم التربية عبر التاريخ وعلاقة الفلسفة بالتربية : أي كيف تشكل الفلسفة شخصية المربي أو المعلم؟ وما هو الدور الذي تلعبه في العملية التربوية؟ وماذا ينتج عن غياب الفلسفة في العملية التعليمية أو التربوية؟

اهداف البحث

يهدف هذا البحث إلى استكشاف العلاقة بين الفلسفة وتربية الأطفال، بتسليط الضوء على الأسس الفلسفية التي تقوم عليها التربية السليمة، وأثر المناهج الفلسفية الحديثة في تنمية قدرات الطفل العقلية والأخلاقية. كما سيتناول البحث بعض التجارب العالمية التي أدخلت الفلسفة إلى المناهج الدراسية للأطفال، وكيف ساهمت في بناء جيل أكثر وعيًا وإنسانية.

نأمل أن يسهم هذا البحث في إبراز أهمية الفلسفة كركن أساسي في العملية التربوية، وأن يكون دافعًا للمربين والآباء

مجلة دجلة • المجلد ٨، العدد١ ملحق، (٢٠٢٥)، ص: ٣٣٤ - ٣٤٦
ISSN: 2222-6583

إشكالية البحث

في ظل التحديات المعاصرة التي تواجه التربية (مثل العولمة، التكنولوجيا، تعدد المرجعيات الفكرية)، تبرز إشكالية أساسية:

"إلى أي درجة يمكن للفلسفة أن تساهم في بناء منهج تربوي متكامل يُنمي قدرات الطفل الفكرية والأخلاقية في عالم متغير؟"

أبعاد الإشكالية الرئيسية:

١. الإشكالية المعرفية:

- كيف يمكن ترجمة المفاهيم الفلسفية المجردة (كالحرية، العدل، المنطق) إلى ممارسات تربوية تناسب مراحل الطفولة المختلفة؟
- ما مدى توافق المناهج الفلسفية الغربية مع القيم التربوية في المجتمعات العربية والإسلامية؟

٢. الإشكالية التطبيقية:

- لماذا تظل الفلسفة غائبة عن معظم المناهج التربوية رغم إثبات الدراسات مثل برنامج (P4C) فاعليتها في تنمية التفكير النقدي؟
- كيف يمكن للمربين (الآباء، المعلمين) تبني الأساليب الفلسفية في التربية دون المساس بالثوابت الدينية والاجتماعية؟

٣. الإشكالية المجتمعية:

- هل تؤدي التربية الفلسفية إلى تعزيز الفردية على حساب القيم الجماعية في المجتمعات المحافظة؟
- كيف نوازن بين تشجيع التساؤل الفلسفي وحفظ الاحترام للسلطات التربوية (الأسرة، المدرسة)؟

الفصل الأول: الإطار النظري للفلسفة التربوية

يتفق غالبية الباحثين الاجتماعيين أن الأسرة تحتل مكانًا ضروريا في تكوين شخصية الفرد، إذ أكد النفسانيون أن شخصية الطفل تتكون في أولى سنوات عمره من النماذج التي يقدمها أبواه ومن حوله من مربين **(عبد الكريم المطيري، ٢٠١٩)** .

إنّ الأسرة هي الوحدة البيولوجية النفسية الاجتماعية المعرفية والاقتصادية الأولى التي ينشأ فيها الطفل ويتفاعل مع أعضائها، وهي التي تساهم في تكوين شخصيته وتوجيه سلوكه **(وهيبة بونويقة، ٢٠١٦)**

لذلك فإن أساليب المعاملة الوالدية للأبناء تساهم بشكل كبير في تنشئة أشخاص أسوياء أم لا ؟

إن نوع العلاقة التي بين الأبناء والإباء تسمى تربية، وتشير المعاجم اللغوية أن التربية من فعل يربو أي بمعنى زاد أو نما، بينما في الاصطلاح فهي تنمية شخصية الطفل من الناحية الجسمية والعقلية والخلقية حتى يصبح قادراً على مؤلفة الطبيعة، يجاوز ذاته ويعمل على إسعاد نفسه وإسعاد الناس، وتعد التربية ظاهرة اجتماعية تخضع لما تخضع اليه الظواهر الأخرى في نموها وتطورها

لم تكن التربية تتخذ نفس الشكل عبر العصور، بل اختلفت باختلاف المجتمع والزمن، ففي المجتمعات البدائية التي عاشت قبل ٦ آلاف سنة تقريبا أي قبل ظهور الكتابة، اتسمت التربية بالبساطة وارتكزت على احترام الصغار للكبار وتقليدهم أو محاكاتهم، أي اتسمت بالطابع العملي وكان رئيس القبيلة أو رجل الدين أو الطبيب يملك تأثيراً كبيراً على الأفراد. بينما في الشرق القديم وبالتحديد في الصين ومع بداية ظهور الحضارة، تميزت الحضارة الصينية بكونها من أكثر الحضارات اهتماما بالإنسان وهذا ما نلمحه عند كونفشيوس الذي عاش في الخمس مئة عام قبل الميلاد. يرى كونفشيوس أن الفرد الصالح هو القاعدة وهو الأساس في الانطلاق نحو تحقيق إصلاح المجتمع إذ قال " قوة الأمة مستمدة من سلامة المنزل . ركز كونفشيوس على الأخلاق الفاضلة وأهمية التربية والفضيلة للوصول إلى السعادة للفرد ومجتمعه، فالفوضى تحدث في المجتمعات نتيجة التخلي عن العادات الفاضلة

نلاحظ أن التربية في مصر أخذت طابعًا مختلفًا نظراً لتعقيد الحياة المصرية القديمة، فقد ظهرت في مصر مدارس ومعاهد علمية تسمى بيت التعليم، اتسم التعليم آنذاك بالقسوة فقد كانوا يستندون إلى الضرب، ولكنهم لم يهملوا دور المرأة، إذ تعلمت النساء وخصوصا في الطبقة الحاكمة مثلما يتعلم الذكور تماما، ثم امتد التعليم ليشمل باقي الإناث في الدولة . في اليونان، وتحديداً عند أفلاطون غلب الطابع المثالي على التربية فكان يرى أنه من خلال التربية يمكن تحقيق وحدة الدولة، بمعنى آخر أنه يهدف من تعليم النشء وتربيتهم أن يصبحوا خادمين للدولة ويتحملون مسؤولية أنفسهم. ركز أفلاطون على أهمية تدريب البدن وتعليم الموسيقى، بالإضافة لتعليم الرياضيات الذي سيفيد المواطنون في الحروب، وتعليم الفلسفة كي يسمو الأفراد ويرتقون لعالم المثل. بينما في العصور الوسطى لعب الدين دوراً جوهريا في المنظومة التربوية سواء في الأخلاق المسيحية أو الإسلامية حيث كانت الكتب السماوية المرجع الأول في تحديد الفضيلة والخير والشر وظهرت فكرة الثواب والعقاب في الحياة الدنيا والآخرة ، بينما في العصور الحديثة وتحديداً مع الفيلسوف جان جاك روسو ظهرت فكرة الحركة الطبيعية في التربية أي أهمية العودة

مجلة دجلة • المجلد ٨، العدد١ ملحق، (٢٠٢٥)، ص: ٣٣٤ - ٣٤٦
ISSN: 2222-6583

للطبيعة ليتعلم الطفل منها مباشرة، شدد روسو على أهمية احترام سيكولوجية نمو الطفل ومراعاة الفروق الفردية بين الأطفال وإعطائهم الحرية في اختيار ما يكونون. كان جان جاك روسو يعتقد أنه كلما تدخل البشر أكثر كلما أصاب الشيء الفساد والانحلال فهو يثق في الطبيعة الخيرة في الإنسان **(برتراند راسل ،٢٠١٦ ، ص٣٤)** .

بينما في عصرنا الحالي وبعد الثورة المعرفية والعلمية وظهور علم النفس والاجتماع أصبح مفهوم التربية شائكا أكثر، إذ تتراوح الفلسفات في التربية بين الشدة والصرامة وبين اللين والحرية، بين القول بأهمية الطفولة وبين القول بأهمية النضج. أصبحت مفاهيم مثل الطفولة، الإنسانية، الوالدية والتربية في غاية التعقيد والحساسية و فقدت الوالدية عفويتها وأصبحنا نطرح سؤالًا عن إمكانية تعليم الوالدية في المدارس **(هاشم الطالب ، ٢٠١٩، ص٦١)**

الفصل الثاني: الفلسفة وتطبيقاتها في تربية الطفل

يصف الفيلسوف وعالم البيولوجيا الفرنسي إدغار موران الإنسان بكونه "كائن بيو–ثقافي" أي أن هناك جدلية بين الطبيعة والثقافة أي أن الإنسان يولد ويملك الاستعداد ليكون إنسان من الثقافة والتربية، فحينما عثر على طفل في فرنسا وطفلة في الهند حرموا من الثقافة والتربية أطلق عليهم الكاتب إتيان مالصون بالأطفال المتوحشين لأنهم حرموا من الاتصال الاجتماعي من عمر مبكر، لوحظ أثر غياب التربية عليهم من حيث إنهم أصبحوا غير قادرين على المشي على القدمين، فضلاً عدم مبالاتهم باتجاه الروائح الكريهة ، و الفزع من الأضواء ليلاً، وعدم القدرة على الإحساس بالفخر أو الخجل، كما أنهم عجزوا عن تميز ذواتهم في المرآة وعجزهم عن إصدار أصوات مختلفة تمكنهم من إجادة لغة ما **(إدغار موران ، ٢٠٢٣)** .

يذكرنا هذا بما ذكره باشلار في كتابه الذي يحمل عنوان "العلم والصحة" يذكر فيه " أن الطفل يولد بجملة عصبية غير مكتملة ومهمة التربية هي إكمال دماغ الطفل بوصفه جهازاً متفتحاً **(رافد قاسم هاشم ، ٢٠١٥، ص٤١)**.

إذ الطبيعة تمنح الإنسان إمكاناته الجسدية والعقلية بينما التربية تمنح له إمكاناته الثقافية والأخلاقية ومن هذا التفاعل تتشكل هوية الإنسان. إذن التربية مهمة جوهرية في تشكل شخصية الإنسان وهويته ومنحه حقه الطبيعي في أن يوازي أقرانه وينجح في توفير حياة كريمة لنفسه. في الحقيقة أن الجزء الثقافي أو التربوي هو الأصعب على الإطلاق ويزداد صعوبة كلما تحضر الإنسان إذ إننا نعيش في عصر الفوضى المعرفية مما يشكل تحدً حقيقي لكل مربي.

إن الثورة المعرفية والصناعية أدت إلى تفكيك المجتمعات وتغيير شكل الأسرة حتى أصبحت بالغة الصغر وتقتصر على الأم والأب بدل أن تتعاون قبيلة كاملة في تنشئة الطفل كما في السابق، مما خلق ضغطاً هائلاً على المربين.

بالإضافة أن المعارف في علوم النفس والسلوك والاجتماع أصبحت تُحمل الإباء والأمهات مسؤولية ضخمة في تكوين فرد سوي، وبذات الوقت لم تعد الحياة العصرية تمدهم بالزمن الكافي ليمارسوا هذا الفعل أصلاً. بل أن الموضوع أضحى أكثر تعقيداً حينما دخلت الشبكات العنكبوتية فضاء المنازل مشكلة تهديدًا اضافيًا لتربية الأبناء وعبءً أكبر على الأمهات والآباء.

إن مسؤولية صناعة إنسان سوي أصبحت تشكل تحديا حقيقيا ومكلفا، حتى ظهرت موجة مضادة للإنجاب تحت هذا الثقل الهائل، وتبدو مبررة نتيجة للعوامل الاجتماعية، الاقتصادية والمعرفية التي حولت مهمة التربية إلى مغامرة غير محسومة النتائج. كما رأينا سابقًا في العصر البدائي اتسمت التربية بالبساطة لأن الحضارة لم تكن موجودة ومحيط الفرد هو قبيلته، وتأثيره قد يصل لقبيلة أخرى أو بضع قبائل. لم تكن هناك أدوات ووسائل اتصال أو معارف يمكن تحويلها لأسلحة في أيدي الأفراد. لم تكن هناك فكرة الأيدولوجيات التي تتصارع وتحدث اضطراب فكري أو نفسي على الأفراد مثلما يحصل اليوم تحت تأثير مؤسسات إعلامية أو سياسية. كانت التربية تركز على حماية الأفراد والمجتمع، وتوفير المأكل والمشرب، بالإضافة لحصول تعاون بين القرية كلها في تنشئة الفرد السوي وكل ذلك كان يتم بعفوية تامة لم تكن هناك حاجة ملحة لوجود فلسفة تربوية سابقًا، بينما في عصرنا الحالي يعد غياب الفلسفة عن أذهان المربين مكلفًا، وله عواقبه في ظل الفوضى المعرفية التي تلفنا جميعًا اليوم. تتميز الفلسفة أو الفيلسوف بقدرته على تنظيم المعارف وتطويعها لخدمة الأفراد فكما يقول هيغل " الفلسفة تأتي متأخرة" أي تأتي أهميتها بعد انتشار المعارف أو الفوضى، فمن هذا التنظيم وتوظيف المعارف يستطيع المربي الوصول لتصورات وأهداف واضحة لتربيته فمهمة الفلسفة حسب دولوز و غاتاري هي إبداع المفاهيم **(سعيد إسماعيل علي، ٢٠٠٩م، ص ٥٩)**

إن التربية عبارة عن اتخاذ قرارات يومية وأحيانا تكون مصيرية وغامضة وتتسم بالبعد القانوني والأخلاقي حيث ان البعد القيمي هو باب من أبواب الفلسفة فكثير من الفلاسفة تحدثوا عن الأخلاق والقيم وحفروا فيها بدل تضييقها، وقد تغفل المؤسسات التربوية أو التعليمية عن هذا العمق ولا نقصد بأن يطلع الوالدان بطريقة منهجية على هذا المجال، ولكن أن يتسما بإتساع الأفق ويحترمان كيان الفرد ويتعاملان مع روح طفلهما بحذر شديد. يمنع التفكير

الفلسفي التسليم الأعمى لكل المؤسسات التعليمية، التربوية والصحية التي تحيط بالفرد حيث إنها تقصي استثنائية الفرد وظروفه وقد تصدر حكما خاطئا لحل مشكلاته

نلاحظ أن التربية تتقاطع مع العديد من المجالات المعرفية الأخرى والمجال الوحيد للذي يلبي تطلعات التربية هو الفلسفة وذلك لأنها تتسم بالشمولية فهي أم العلوم، وهذا جعلها من أهم وسائل التفاهم والتعاون بين أبناء البشر، بل أن مستوى التحضر لأي مجتمع يقاس بمدى شيوع الفلسفة فيها . **(محمد ناصر، ١٩٧٣ م، ص٤٤٩)** .

اتخذت التربية في العصر الحديث الطابع الفرداني فأصبح لكل خلية قيمها ومبادئها التي تم تبنيها بشكل خاص سواء كان ذلك بشكل مقصود أو غير مقصود، أي أن كل أسرة لها فلسفتها الخاصة مما يحتم على الفرد مسؤولية صياغة فلسفة تربوية رصينة كي يتمتع هو وأفراد أسرته بحياة جيدة. لا نقصد بأن يحمل كل مربي شهادة أكاديمية في الفلسفة، ولكنه يتمتع بخصائص الفيلسوف من اتساع أفق وقدرة على النقد وهذه أهم خصائص المربي الناجح. وفيما يلي سوف نناقش تأثير الفلسفة على التربية على مستوى المنهج وعلى مستوى الأسلوب

الفصل الثالث: مقارنة بين الفلسفة التربوية والمناهج التقليدية

١- الفلسفة والتربية على مستوى المنهج

شاع أن التربية في الشرق القديم والخصوص بالصين تميزت بأسبقيتها في اهتمامها بالإنسان وتركيزها على الولاء البنيوي بشكل صارم، لكننا نجد راسل ينتقد التربية في الصين إنها نجحت في أهدافها في ترسيخ الاستقرار، ولكنها فشلت في تحقيق التقدم **(محمد ناصر، ١٩٧٣ م ، ص٤٤٧)** .

إن هذا النقد الذي وجهه راسل في غاية الأهمية حيث يطرح السؤال الذي يجب أن تطرحه الأسر والدول في مشروعها التربوي وهو سؤال الغاية أو الهدف. شدد راسل على أن النظام المثالي للتربية يجب أن يكون ديمقراطيا، لأن التربية سوف تواجه مشاكل ولن تكون فعالة إن لم تسبقها إصلاحات في السياسة والاقتصاد، و يرى أن الدولة شريكة في العملية التربوية لأنها تشرع الأنظمة والقوانين وبالتالي تؤثر سياستها في جودة العملية التعليمية والتربوية، ونلاحظ أن قانون حقوق الإنسان العالمي يوافق على هذه الفكرة حيث نص على أن الأسرة يجب أن تتمتع بحق الحماية من قبل المجتمع والدولة **(زان بواغ،٢٠٢١ ، ص١٣)**

إن هذا يقودنا لإعادة النظر في مفهوم التربية الذي يتخطى أسوار المنزل والقول بفكرة الثالوث في العملية التربوية، الذي يتكون من الطفل، و المنزل والمدرسة، اذ يعد الطفل كذات مستقلة وكيان يجب أن يُحترم، بينما يمثل المنزل الوالدين الذين يبذل كل منهما قصار جهده في منح الطفل بيئة سليمة نفسيًا وجسديًا، في حين أن المدرسة تمثل المعلمين اللذين

يساهمون في تصحيح أي قصور يصدر من الأبوين ويكملان ما يعجزان عنه حتى يزدهر الفرد **(جون ديوي، سنة ١٩٧٨، ص ١٣)** .

يحصل هذا الأمر في الدول المتحضرة التي لا تتعامل مع مواطنيها كوسائل، بل كغايات، اذ يرى راسل " أن المناهج التربوية المتبعة في المجتمعات الإنسانية ليست سوى مؤامرة كبرى على حرية الأفراد، فلا يكاد يولد الطفل وينشا حتى يغمسه ذووه ومواطنوه غمسا في الثقافة المجتمع الذي جاء عضوا فيه" ويضيف تنبيها أنه بغض النظر عن سلامة تلك الأفكار أو صوابها يجب أن نشدد على أهمية الحرية وغرس الرغبة في الأفراد لمعرفة الحقيقة وليس الاعتقاد بأن عقيدة ما هي الحقيقة .

يوافق دوركايم راسل مضيفًا " أن كل عمليات التربية هي سيرورة تطبيع اجتماعي" ويرى أن المجتمع يسمو عن طريق التربية نحو تغيير ذاته بواسطة القيم الإنسانية.

أثرى دوركايم الحقل التربوي عن طريق صياغته التخصصية لعلم الاجتماع التربوي حيث اهتم بدراسة العلاقة بين المجتمع والمدرسة والدولة حيث يرى أن التغيرات الاجتماعية قلصت الدور الوظيفي للأسرة وأصبحت المدرسة ومناهجها وكيلاً للتنشئة الاجتماعية **(معن زيادة، ٢٠١٢ ،ص٩٣)**

إن سؤال الغاية أو الهدف من التربية سؤال بالغ الخطورة لأنه يستفهم ويكشف عن كل الأغراض والمؤسسات التي تحوم حول الفرد والمجتمع، فالغاية التربوية محددة للفعل التربوي وليس العكس، فمثلما يقول الكواكبي " تكون التربية والاستبداد عاملين متعاكسين في النتائج، فكل ما تبنيه التربية مع ضعفها يهدمه الاستبداد بقوته". ربما هذا هو نفسه ما قصده الفيلسوف الصيني لاوتسي أن الرقابة والقوانين الشديدة تشيع الفساد أكثر مما تشيعه الحرية والمحبة. نلاحظ هنا أن الحرية التي يتمتع بها كل من في ثالوث التربية ضرورية ولا يقصد بها الحرية المطلقة التي تقود إلى عدم المبالاة بالنفس أو بالآخرين وأحداث فوضى، بل حرية مسؤولة تقود إلى الازدهار والابتكار وإزالة عوائق النمو والتخلف **(محمد بوضياف ، ٢٠١٦، ص٣٩)**

٢- الفلسفة والتربية على مستوى الأسلوب

قد يكون شائعًا أن يتصور الناس بأن الأسرة هي مدرسة في التعاطف والحنان والمحبة ونسيان الذات، ولكنها أيضًا نضال مستمر في حل النزاعات حيث كشف استطلاعًا شمل ٣٠٠٠ عائلة قامت به قاعدة بيانات العائلة يوينفو، أن الأم والأب والأبناء يقعون في ثلاث اختلافات في اليوم الواحد على الأقل ويستمر كل من هذه الخلافات إلى خمس دقائق تقريباً **(زان بواغ،٢٠٢١)** .

قد تتراوح النزعات من بسيطة إلى معقدة ويدخل بها العديد من العوامل الاجتماعية والاقتصادية، ولكن يجب على الأبوين التمتع بمرونة عالية وصبر جم، فالأبناء يمرون بتغيرات في النمو، ويحاولون اكتشاف ذواتهم، ومن حقهم علينا أن نساعدهم حتى تتبلور شخصياتهم ويصلون إلى الإستقلال التام.

إن هذا التصور الواقعي للعائلة ضروري لكل من يمارس العملية التربوية وإلا تحولت التربية إلى رحلة نحو التعاسة، فمن خلال الاطلاع على مجموعات البيانات من أوروبا وأمريكا، وجد أن الآباء والأمهات يعبرون عن مستوى منخفض من السعادة والرضا مقارنة بمن هم ليسوا آباءً وأمهات، بينما في إحصائيات مغايرة وجد الباحثون أن العلاقات الأسرية وعلاقات الصداقة تقود لمستوى صحة وسعادة أفضل على المدى الأبعد وخصوصا عند التقدم في العمر، فمثلما يقول جورج واشنطن " إن الذي ينشئ عائلة كبيرة، منفقاً حياته في مراقبتها، إنما يفسح سبيلاً واسعًا للإسى، لكنه أيضًا يفسح سبيلاً واسعًا للبهجة **(زان بواغ،٢٠٢١)** .

المشكلة ليست في التربية، حتى لو كانت شاقة، المشكلة في تصوراتنا ومفاهيمنا التي نشكلها عن هذه العملية أو العلاقة وما يساعدنا على صياغة مفاهيم دقيقة هو التفكير الفلسفي الذي يتسم بالمرونة والانفتاح والنقد المستمر، فعدم انفتاحنا يخلق لنا مآزق ويشلنا عن إيجاد الحلول والتمتع بحياة أفضل. إن عملية التربية تبدأ قبل الإنجاب من خلال اختيار الشريك المناسب والتوقيت المناسب للإنجاب واستعدادنا التام لكل ما ينتج عن هذه القرارات وتحمل تبعاتها **(هاشم الطالب، عبد الحميد أبو سليمان وعمر الطالب،٢٠١٩، ص٢٧،).**

فما أتعس من أن تنجب مخلوقا من العدم، فيرغب بالموت لأنك لم توفر له الحياة الكريمة، وكلنا نذكر شعر المعري الذي أوصى بكتابته على قبره " هذا ما جناه أبي عليَّ...وما جنيت على أحد **(الذب عن أبي علاء المعري، عبدالقدوس الهاشمي، ٢٠١٧)** .

قد يكون التفكير بهذه الطريقة مخيفًا ويجعلنا نتردد قبل الأقدام على الانجاب و ربما نشعر بثقل المسؤولية، لا نقصد بهذا أن نوفر جنة لأطفالنا و نكون مسؤولون عن سعادتهم بشكل كامل، بل أن نحترم كيانهم و نوفر لهم حياة كريمة وطيبة تسمح لهم بالنمو والاستقلال بقدر المستطاع، وأن لا نكون سبب تعاستهم وشقائهم وهذا لا يضمن سعادتهم القصوى، فقد تأتيهم المشاق من مصادر لا نتوقعها ولكن يجب أن نلتزم بالبقاء بجانبهم في كل وقت، فنحن من جلبناهم لهذا العالم و لا بد من أن يكون وجودنا مواساة لا تعاسة تزيد مأساتهم، ويمكن لنا أن نستشهد بالدراسة التي قام بها ريتشار اذ كشف أن أسلوب المعاملة الوالدية الذي يتسم بالرفض أو الأفراط في الحماية ينعكس فيما بعد على الأبناء وفشلهم في التعامل مع ضغوط الحياة ومقابلتها بالضيق و الانفعال، بينما حين

تتسم المعاملة الوالدية بالتسامح والدفء و القبول و المواجهة ينعكس على الفرد لإيجاد حلول لمشكلاته بصورة واقعية و عقلانية مما يجعله راضيًا عن حياته ومنتجًا فيها **(عبد الكريم المطيري، ٢٠١٩)** .

انتهى بنا المطاف بعد تحليلنا ومناقشتنا لمفهوم التربية ووجدنا أنها تنمية شخصية الطفل من جميع جوانبها لكي يصبح فرداً قادراً على أن يسعد نفسه ويسعد الآخرين في مجتمعه من خلال تعاطفه وتعاونه. رأينا كيف أن مفهوم التربية لا يختلف عن المفاهيم الأخرى اذ تلعب الظروف الإجتماعية والإقتصادية في تغييره أو التأثير عليه. تتبعنا أيضاً كيف تطور هذا المفهوم منذ المجتمعات البدائية عندما كان مفهوما بسيطا يقتصر على التقليد والمحاكاة، انتقالاً إلى مجتمعات الشرق وبالخصوص في الصين اذ يلعب مفهوم الولاء البنيوي دوراً قوياً، ثم الى مصر واليونان التي ركزت على صناعة مواطنين صالحين للدولة. رأينا كذلك أن الأديان السماوية من مسيحية والإسلام لعبت دوراً بارزاً في صياغة مفهوم الخير والشر والعمل من أجل الحياة الدنيا والآخرة. عندما وصلنا لثورة المعرفية والصناعية تحولت الأسر الكبيرة إلى أسر نووية بالغة الصغر وأضحت عملية التربية أكثر تعقيداً وتفتقد للعفوية مما تتطلب حكمة وفلسفة بالغة لإنشاء فرد سوي، ومن خلال قانون حقوق الإنسان تحولت التربية لعملية تربط بين الفرد والأسرة والدولة من مؤسساتها التعليمية ، رأينا أن راسل يشترط الديمقراطية السياسية والعائلية لنجاح التربية،

وهذا يعني أن يتمتع الفرد بالحنكة الفلسفية في تربية أطفاله ولا يسلم بشكل أعمى لكل ما يصله من معلومات، ويملك تصورات مرنة للمفاهيم التربوية وإلا دخل في صراعات ونزاعات أسرية تحيل تجربته الوالدية لنوع من المأساة. إن ربطنا للفلسفة مع التربية لا يعني أن الفلاسفة كانوا آباء رائعين فمن خلال تفحص حياتهم نجدهم يتراوحون في أبوتهم بين الفظاعة والروعة، لم يكن هيغل أباً رائعاً لكل أطفاله وخصوصاً غير الشرعيين اذ جمعتهم علاقة مضطربة تتراوح بين القبول والرفض. على نفس نهج هيغل وربما بمستوى حاد أكثر رفض دريدا أطفاله غير الشرعيين ولم يعترف بهم وحتى بعد أن أعترف رفض أن تكون له علاقة بهم. في الجهة المقابلة كان برتراند راسل أباً جيداً لأطفاله ويراهم سبباً للسعادة والسلام، على نفس المنوال يتباهى الفيلسوف الوجودي ميغيل دي أونامونو بإنجابه لعشرة أطفال فهو يرى أننا ننجب أطفالاً على هيئاتنا وبذلك هم يمنحوننا صفة الخلود الإلهي **(زان بواغ، ٢٠٢١)**.

التوصيات

في ضوء ما تم طرحه من إشكالية البحث وأهمية الفلسفة في تربية الأطفال، يمكن تقديم النصائح والتوصيات التالية لتعزيز دور الفلسفة في التنشئة والتربية:

١- إدماج الفلسفة في المناهج التعليمية

- **تقديم برامج فلسفية مبسطة للأطفال** في أنشطة تناسب أعمارهم، مثل حوارات "فلسفة للأطفال(Philosophy for Children – P4C) "، التي تشجع على التفكير النقدي والإبداعي.
- **تضمين قصص وأسئلة فلسفية** في مواد اللغة العربية والتربية الإسلامية والاجتماعيات، لتعويد الطفل على التساؤل والتحليل.
- **تدريب المعلمين** على استخدام الأساليب الفلسفية في التدريس، مثل الحوار والمناقشة بدلاً من التلقين.

٢- تعزيز دور الأسرة في التربية الفلسفية

- **تشجيع الآباء على تبني أسلوب الحوار الفلسفي** مع أطفالهم، عبر طرح أسئلة مفتوحة مثل: "لماذا نتبع الأخلاق؟"، "ما العدل؟"، مما ينمي قدراتهم العقلية.
- **توجيه الوالدين لقراءة قصص تحفز التفكير** وتطرح قضايا أخلاقية وفلسفية بسيطة، مثل كتب "سؤال وجواب" الموجهة للأطفال.
- **الابتعاد عن الإجابات الجاهزة** وتشجيع الطفل على البحث والتفكير المستقل.

٣- مواكبة التحديات المعاصرة

- **استخدام التكنولوجيا بشكل إيجابي** بتقديم محتوى رقمي يشجع التفكير النقدي، مثل تطبيقات وألعاب تعليمية فلسفية.
- **تعليم الأطفال تحليل المعلومات** التي يتعرضون لها عبر الإنترنت ووسائل التواصل، ليكونوا أكثر وعياً وقدرة على التمييز بين الأفكار.
- **تعزيز القيم الإنسانية** مثل التسامح واحترام الرأي الآخر من خلال مناقشة آراء الفلاسفة حول العدل والحرية.

٤- إجراء المزيد من الدراسات والتجارب

- **تشجيع البحوث التربوية** التي تدرس أثر تعليم الفلسفة على نمو الأطفال العقلي والأخلاقي.
- **تبادل التجارب الدولية الناجحة** في تدريس الفلسفة للأطفال، مثل نموذج "ماثيو ليبمان " (Matthew Lipman) في برنامج P4C.
- **إنشاء نوادٍ فلسفية في المدارس** تُعنى بتنظيم حوارات ونقاشات بين الأطفال حول قضايا فكرية وأخلاقية.

الخاتمة

- في النهاية أن تكون أماً أو أباً هي فرصة عظيمة، و خطوة نحو تحسين العالم وجعله مكاناً أفضل.
- الإنجاب والتربية مسؤولية فهو ليس عملية لحفظ الجنس البشري أو وسيلة للخلود فقط، بل أنه ملء الفراغ بأشخاص أفضل فنحن لسنا بحاجة للمزيد من الاختراعات الذكية أو الاكتشافات العبقرية، يكفي أن تربي طفلاً واحداً سوياً متناسقاً مع ذاته ومحيطه، أن تصنع أنساناً في منتهى الإنسانية .
- إن تعزيز دور الفلسفة في تربية الأطفال ليس ترفًا فكريًا، بل ضرورة لبناء جيل قادر على التفكير المستقل، و مواجهة التحديات، واتخاذ قرارات أخلاقية وعقلانية. ومن خلال تضافر جهود المؤسسات التعليمية والأسرية، يمكن جعل الفلسفة أداة فعالة في تشكيل عقل ووجدان الطفل، مما يسهم في تنشئة أجيال أكثر وعيًا وإنسانية.

"العلم دون فلسفة، كجسد بلا روح." — أرسطو

المصادر

١ – أبستمولوجيا المعرفة عند غاستون باشلار للدكتور رافد قاسم هاشم.
٢ – إدغار موران جمع بين سيرته و تفاصيل مشروعه الأساسي للكاتب علي عطا، اندبنتيت العربية،٢٠٢٣.
٣ – أساليب المعاملة الوالدية وعلاقتها بمستوى الطموح لطلاب المرحلة الثانوية بمحافظة بحر الباطن، أعداد عبد الكريم المطيري، المجلة العربية للتربية النوعية العدد ٨، أبريل ٢٠١٩.
٤ – الذب عن أبي علاء المعري، عبدالقدوس الهاشمي، شبكة الجزيرة الإعلامية، ١.٢٠١٧
٥ –شؤون عائلية، المحرر زان بواغ، ترجمة دار معنى لنشر و التوزيع العدد الخامس،٢٠٢١
٦– فلسفات تربوية معاصرة، سعيد إسماعيل علي ، سلسلة كتب ثقافية شهرية يصدرها المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب الكويت، سنة ٢٥٥٩ م، ص ٥٩ .
٧ – في دلالة إشكالية تعريف الفلسفة، الدكتور الطيب بوعزة، صحيفة الشرق الأوسط صحيفة العرب الأولى، ١٥ يوليو ٢٠١٥.
٨ – كتاب التربية الوالدية رؤية منهجية تطبيقية في التربية الأسرية، أعداد هاشم الطالب، عبد الحميد أبو سليمان وعمر الطالب، المعهد العالي للفكر الإسلامي، فرجينيا – الولايات المتحدة، الطبعة الأولى، ٢٠١٩.
٩– المدرسة والمجتمع، جون ديوي ، ترجمة أحمد حسن الرحيم ، مراجعة محمد ناصر منشورات ، دار مكتبة الحياة بيروت لبنان، الطبعة الثانية ، سنة ٢٥٣٥ م ص ٢٩ .
١٠ – مذكرة الأسس الفلسفية لنظرية التربية عند برتراند راسل من إعداد وهيبة بونويقة، جامعة محمد بوضياف، الجزائر، ٢٠١٦ .

١١ – المعاملة الوالدية كما يدركها المراهق المبكر وعلاقتها بإستراتيجيات المقاومة، أعداد آبت يسمينه، جامعة قاصدي الجزائر، دراسات نفسية تربوية العدد ١٢، جون ٢٠١٤.

١٢ – الموسوعة الفلسفية العربية، المجلد الأول، معن زيادة، معهد الإنماء، مكتبة مؤمن قريش، الطبعة الأولى، سبتمبر ٢٠١٢.

المصادر الأجنبية:

1- The Arabic Philosophical Encyclopedia, Volume I, Maan Ziada, Institute of Development, Moamen Quraish Library, first edition, September 2012.

2– The epistemology of knowledge according to Gaston Bachelard by Dr. Rafid Qasim Hashem.

3- The New Philosopher Magazine, Family Affairs, Editor Zan Boag, translated by Dar Ma'an for Publishing and Distribution, Fifth Issue, 2021

4-Memorandum on the Philosophical Foundations of the Theory of Education according to Bertrand Russell, prepared by Wahiba Bounouika, Mohamed Boudiaf University, Algeria, 2016

5- Methods of parental treatment and their relationship to the level of ambition of secondary school students in Bahr Al-Batin Governorate, issues of Abdul Karim Al-Mutairi, Arab Journal of Specific Education, Issue 8, April 2019.

6 – Parental treatment as perceived by the early adolescent and its relationship to resistance strategies, numbers of Abt Yasmina, University of Kasdi Algeria, Educational Psychological Studies, Issue 12, June 2014.

7- Parenting Education Book: An Applied Methodological Vision in Family Education, Prepared by Hashem Al-Talib, Abdul Hamid Abu Suleiman and Omar Al-Talib, Higher Institute of Islamic Thought, Virginia - United States, First Edition, 2019.

8- Edgar Morin combined his biography with the details of his main project by Ali Atta, Arab Independent, 2023

9- Al-Dib on the authority of Abu Alaa Al-Maari, Abdul Quddus Al-Hashemi, Al-Jazeera Media Network, 2017.

10- On the significance of the problem of defining philosophy, Dr. Tayeb Bouazza, Asharq Al-Awsat newspaper, Al-Arab Al-Oula newspaper, July 15, 2015.

11- Saeed Ismail Ali: Contemporary Educational Philosophies, a series of monthly cultural books issued by the National Council for Culture, Arts and Letters, Kuwait, 2559 AD, p. 59.

12- John Dewey: School and Society, translated by Ahmed Hassan Al-Rahim, reviewed by Muhammad Nasser Publications, Dar Al-Hayat Library Beirut, Lebanon, second edition, year 2535 AD, p. 29.